جماليات النثر في مقالات مصطفي لطفي المنفلوطي

تكمن اهمية المنفلوطي في تاريخ النثر العربي الحديث في ناحيتين: اما الناحية الاولى فتتمثل في تأليف نوع خاص من القصص ليست هي مترجمة ولا مؤلفة بل مزيج من الاثنين.

كان المنفلوطي يأتي الى الاثار القصصية المترجمة، او يطلب من اصدقائه ان يترجموا له قصصا، فيكتبها بأسلوب ادبي مصفى، ويغير فيها تغييرات واسعة ويملؤها بدروس ومواعظ اخلاقية مختلفة.

فالمنفلوطي كان يخلق القصة المترجمة خلقا جديدا، يتلاءم مع ذوق القراء في عصره، فقد كان هذا الذوق يعجب بالإغراق في العاطفة والنظرة الى الاسلوب لا بوصفه وسيلة للتعبير عما يشعر به الكاتب، لكن بوصفه وسيلة لإضفاء الرونق والبهاء والزينة على ما يكتبه.

والاغراق العاطفي في قصص المنفلوطي يتجه اما الى تصوير الحب العذري الطاهر الذي يبلغ في طهارته درجة كبرى او يغرق في الحديث عن الاحساس الوطني، او عن الضعفاء والبائسين والفقراء ولا سيما من النساء والاطفال. وهو لا يقدم في كل ذلك تحليلا عميقا ولا منطقيا للمشاعر. وانما يحاول دفع القارئ في اسلوب تقريري خطابي الى الحماس العاطفي لما يتحمس له. والاسلوب الذي صيغت به هذه القصص يعتمد اساسا على التكرار والترادف والتقسيم الموسيقي للجمل والسجع والاستشهاد. ولعل هذا سبب فهم من اسباب اقبال جماهير القراء على قراءة هذه القصص والتعلق بها. والقصص هي (الفضيلة) واصلها قصة ( بول وفرجيني) و( ما جدولين) او ( تحت ظلال الزيزفون) و( الشاعر) و( في سبيل التاج) وقصص قصيرة ضمنها كتابه( العبرات).

واما الناحية الثانية فتتمثل في مقالاته التي يضمها كتابه المعروف ( النظرات) وهي مقالات نشرت في جريدة ( المؤيد) تناول فيها المنفلوطي بعض الجوانب الاجتماعية بالنقد، وشخص فيها جملة من المساوئ الاجتماعية التي استجدت في المجتمع خاصة بعد الاحتكاك بالحضارة الاوربية. وعني فيها بالأسلوب واداء المعاني اداء فنيا رائعا. فاهتم باختيار الفاظه وانتخابها، ووفر لها ضروبا من الموسيقى بحيث تسيغها الآذان وتقبل عليها.

ان اسلوب هذه المقالات ليس الا تهذيبا لأساليب امراء البيان في عصور العرب الزاهرة، بحيث تتلاءم مع حاجات الكتابة العصرية وهو في جملته اسلوب خطابي يتوجه مباشرة الى القارئ.

ان المنفلوطي في النظرات كاتب اجتماعي قدير، يدعو الى الفضيلة والمثل السامية بأسلوب الاديب البارع والمصلح الحكيم.

وعلى العموم يقف المنفلوطي صاحب مذهب خاص في النثر العربي الحديث ومدرسة في الادب الحزين المظلم المنطوي على صور البؤس والحزن والحرمان. ومذهبه هو المذهب الانشائي الذي يعنى عناية كبيرة بالأسلوب ولا يهمل في الوقت ذاته جانب المضمون.

ويرى بعض الباحثين ان ادب المنفلوطي يمثل خير تمثيل المرحلة الرومانسية التي شهدها الادب العربي منذ مطلع القرن الحالي وحتى قيام الحرب العالمية الثانية.